ديريك وولكوت يفوز بجائزة (تي أس اليوت)

إشراف /فاطمة رشاد

لندن /متابعات:

عن مجموعته القصصية الأخيرة (اللقائق البيضاء)، فاز الشاعر الكاريبي ديريك وولكوت بجائزة (تي أس اليوت) للشعر هذا العام.

وبحسب وكالة (بي بي سي) تنافس وولكوت البالغ من العمر 81 عاماً مع شعراء معروفين على الجائزة، بينهم سيمون أرميتيج وشيموس هيني.

وتقول رئيسة لجنة التحكيم آن ستيفينسون: اللجنة واجهت صعوبة في اختيار الفائز، لكنها في النهاية اختارت مجموعة (اللقائق البيضاء)؛ لأنها (مؤثرة ومغامرة وبدون أي ثغرات فنية، ولشاعر كبير).

وتتضمن المجموعة قصيدتين موجهتين لباراك أوباما.

وسيحصل وولكوت على 15 ألف جنيه استرليني بينما يحصل كل من منافسيه على ألف جنيه.

ومن بين مؤلفات وولكوت الأخرى مجموعة بعنوان (ليلة خضراء)، وعمله الملحمي (أوميروس) المبني على ملحمتي هوميروس (الإلياذة) و(الأوديسة). ومن بين الفائزين في الجائزة في سنوات سابقة تيد هيوز وكاروب آن دفي وسيموس هيني.

وكانت جائزة تي أس اليوت قد أسست عام 1993 للاحتفاء بالذكرى الأربعين لتأسيس (جمعية ديوان الشعر) ومؤسسها الشاعر الكبير اليوت.

في (وجه امرأة فاتنة) لفاطمة المزروعي

المكان والزمان يحضران معا في تلازم علاقتهما الجدلية عبر أطوار وصور عدة

القصص بصمتها الذاتية. مجموعة (وجه أرملة فاتنة) فهي تؤكد حضور القصة تضم قصصاً جديرة بالقراءة، القصيرة بقوة في المشهد السردي الإماراتي.

نستطيع تناول المكان أو الزمان، كل على حدة، لدى دراسة أية مجموعة قصصية، ولكن تناولهما معاً قد يسهم في إثراء تلك الدراسة، فثمة علاقة متلازمة بين الزمان والمكان، وما الفصل بينهما إلا لتبسيط البحث واختصاره، فالزمان هو البعد الرابع للمكان ــ حسب النظرية العلمية ــ بل قد يكون السرد القصصي قائماً على هذا التلازم العضوي بين الزمان والمكان، لهذا قد يتعثر الفصل بينهما لدى تشريح النص، وهذا ما يتضح لدى دراسة كتاب (وجه أرملة فاتنة) للقاصة الإماراتية (فاطمة المزروعي) حيث نجد بوضوح أن المكان والزمان يحضران معا في تلازم علاقتهما الجدلية عبر أطوار وصور عدة ضمن السياق العام لبنية الحدث القصصي، وعبر التكوين النفسي للشخصيات القصصية.

يبدأ التحقيب الزمني في هذه المجموعة منذ الطفولة، حيث البراءة الفطرية المندهشة، ومحاولة اكتشاف العالم الجديد، ولكن سرعان ما تقع الصدمة الأولى مفسحة المجال لصدمات أخرى، فالأمكنة الأولى لا تحقق السعادة المرجوة، فالطالبات يخفن من سطوة المعلمات وقسوتهن، وبذلك تنشأ بطلات المجموعة خائفات أنى حللن، وفي أي زمان كن. أما إذا كانت الطفلات في المنزل حيث المكان الآمن، فإنهن محرومات من اللعب الجميلة الموجودة في مكان آخر، فثمة شعور دائم بالحرمان يتصاعد كلما مر الزمن على المرأة السجينة داخل حيز مكاني محدود. فالمرأة تخشى مرور الزمان الذي يقتات ببطء جسدها المفتقد إلى حب يدفئ الأحاسيس المتوقدة، وإلى عاطفة تروي قلبها الظامئ. ورغم ذلك نادراً ما تقف تلك المرأة على حدود الخطيئة، أو تلتبس تلك المقاربة في غموض غير مصرح به.

نجد أجساد النساء مرهقة، ومتعبة، أو تعاني أمراضاً لا شفاء منها في أسوأ الأحوال، وفي كل الحالات تعاني المرأة آلامها طوال العمر دون أن يشاركها أحد أحزانها. وربما تربص الموت بالبطلة منذراً بنهاية الزمن لديها، وخروجها من أماكن الأحياء، إلى مقابر الأموات حيث المكان دون زمن. كما نجد الموت، أو الفراق، لا يحاصر المرأة بمفردها، فقد يتربص بأطفالها الذين قد يرحلون عنها إلى مكان آخر بعيداً عنها، أو يذهب إلى مكان لا يغادرونه حيث المقبرة. والرجال أيضاً الذين لهم صلة بتلك النساء قد يموتون أيضاً، في حال لم يحدث الفراق بالابتعاد عن المكان الذي تقبع فيه.

ونلحظ أيضاً أن المرأة تعيش وحيدة في حيز مكاني محدود ومفصول عن العالم الخارجي، وتحديداً تعيش في منزل صغير لا يطرقه الزوار عادة، وقد تتقاسم المرأة منزلها مع أحد الأشخاص، ورغم ذلك تشكو الوحدة لانعدام التفاهم والحب، سواء كان الشريك في المكان هو الزوج، أو أحد الوالدين. وحتى المرأة قد تسيء إلى المرأة وتضطهدها بطريقة غير مباشرة في الفضاء المكاني الذي يتواجدان فيه، فالجارة على سبيل المثال تسيء الظن بجارتها، وتطلق حولها الشائعات لغيرتها منها، لأنها تخشى على زوجها، لهذا هي مستعدة أن تفعل أي شيء ضد بنات جنسها لتحافظ على الرجل الذي هو ملاذها الوحيد، ورغم ذلك فإن هذا الملجأ الوحيد يخذلها غالباً.

أغلب القصص ترصد الزمن الحياتي للمرأة الوحيدة، والظروف الاجتماعية التي تفرض عليها عزلة مكانية تفصلها عن الناس، وعزلة زمنية تفصلها عن صخب الحياة اليومية. وحتى في حال كان بطل القصة رجلاً فإننا نجده يعاني أيضاً وإن اختلفت نسبياً تلك المعاناة، فالرجل أيضاً يشكو من الوحدة والحرمان والحزن، ومن عدم تفهم الشريك له، ولعل الاختلاف الوحيد أن أغلب الرجال مدمنون على قراءة الجرائد والمجلات.

(1) نجد التواشج بين المكان كحيز مادي والزمان كفضاء روحي بوضوح في قصة (عندما يأتي المساء) حيث يشكلان معاً حالة نفسية وجسدية لدى بطل القصة: (الأصوات الصاخبة ترتفع من مقهى صغير في وسط ذلك الزقاق وبيوته الحجرية القديمة، قد ترفع ناظريك أحياناً مثلي فتحملق في الوجوه التي اعتادت الجلوس في ذلك المقهى، عندها ترى ملامح أعمل الزمن فيها فأسه. ص9). ونلحظ في المقبوس السابق ترابط الدلالات الزمنية/ المكانية، واشتراكها معاً في تقديم الفكرة ذاتها من أكثر من جانب، فالبيوت الحجرية القديمة هي الشكل الخارجي للزقاق، مثلما الوجوه هي الشكل الخارجي للإنسان، وقد أعمل الزمن فيهما فاسه، فكانت تلك الوجوه التي علتها التجاعيد دالة على مرور الزمن شبيهة بتضاريس الأحجار التي تعرضت بدورها للعوامل الزمنية. ولابد من الإشارة إلى أن بطل القصة قد يرفع ناظريه أحياناً لأنه ملّ التحديق في ذلك المشهد المكرر أمامه منذ سنوات، أو لعله يريد إقامة علاقة ما مع ذلك المكان رغم أن الزمن قد حوله إلى شبه أنقاض.

يسترعي انتباه بطل القصة رجل عجوز يقبع في ذلك المقهى منذ سنوات في المكان ذاته: (تراه جالساً في آواخر الخمسين من عمره، تقوس ظهره ووهنت ملامحه). (ص10). ونلاحظ أن هيئة هذا الرجل تشبه ملامح المكان القديمة، والزمن لديه أيضاً غير متحرك في هذا الفضاء المكاني المؤطر، وكأن الزمان يمضي في هذا الزقاق لإحداث البلى في المكان لا غير، فهو أقوى من البيوت الحجرية، لهذا يريد تقويضها بهدوء كما يهرم الإنسان.

المفارقة أن بطل هذه القصة شاب صغير لم يتجاوز الثانية عشرة من العمر، ربما لهذا لم يسلبه الزمن روح المغامرة، فبادر إلى الجلوس إلى جانب هذا العجوز العاكف على قراءة الجرائد مادام هو في جلسته تلك في المقهى. ولكن والد الشاب يمنعه من الجلوس إلى العجوز، فلكل منهما زمنه الخاص ومكانه الخاص بحسب رأي الوالد.

ثم سرعان ما يمر الزمان، ويصبح هذا الشاب الصغير عجوزاً بدوره، عندئذ يباغته الحنين إلى المكان القديم، فيعود إليه في أحد الأيام، ولا يفاجأ بأن العجوز قد رحل عن المقهى منذ سنوات. فيشتري الجرائد، ويجلس مكان العجوز، كأنه يعيد التواصل معه بطريقته عن طريق المكان ذاته وإن فرقهما الزمان.

نجد الزمان يدور دورته: (حتى إذا كان ذات مساء رفعت رأسي فإذا بي ألمح طفلاً في نحو الثانية عشرة من عمره ينظر إليّ بفضول). ص13. فثمة طفل يراقب بطل القصة العجوز كما كان يفعل من قبل، فهل خشي أن يدعوه كما فعل العجوز معه كي لا يتعرض للضرب من والده كما حدث معه وهو صغير؟ أم أن هذا الطفل ليس إلا طيفاً عابراً صنعته مخيلة العجوز؟ ولعل الأمر برمته لا خيار لأحد فيه، فثمة دائرة زمنية عليها أن تكمل دورتها في المكان ذاته.

(2) عنوان القصة السابقة يحمل دلالة زمنية صريحة، أما عنوان هذه القصة فيحمل دلالة زمنية ضمنية (كل الأيام تتشابه) وكلا العنوانين يتشابهان أيضاً.

إذا كان المكان في القصة السابقة جمع والداً وابنه، فإنه في هذه القصة جمع أماً وابنتها، فهل تغيير جنس الشخصيات يعطي نمطاً مختلفاً لعلاقة الآباء والأبناء في زمان ما؟: (كانت تشعر بأن هذه الأم سوف تظل تراقبها، مراقبة أبدية، ولن ينتهي هذا الحصار أبداً، إذا ما ظلت على قيد الحياة). ص22. هنا تبدو رابطة القرابة أكثر تأزماً، حتى إن بطلة القصة تتمنى أن ينتهي زمن الأم في المكان الذي جمعهما. وثمة تشابه في طبيعة الشخصيات رغم اختلاف الجنس، فالأم تراقب ابنتها كما راقب الأب ابنه، وإن لم تستخدم العنف الجسدي، لأن استخدام الضرب خاصية ذكورية في القصص، بينما العنف الأنثوي مشاعر مكبوتة تعبر عن نفسها بطرق ملتوية غير مباشرة.

عطلت الأم فيما يبدو زواج ابنتها كي تبقى تحت أنظارها، لهذا كرهت البنت أمها بعد فشل علاقتها مع الرجل الذي أحبت، وكرهت المكان الذي تعيش فيه فلم تعد تعنى بتنظيف المنزل: (تذكرت وحدتها، وكيف تقضيها في مساحات هذا المنزل الصغير؟ لقد حفظت كل ركن فيه، كل مساحة ضاع لونها مع الزمن). ص23. وبعدما فقدت الشخصية العلاقة الحميمة مع المكان الذي نشأت فيه، تحول المكان إلى سجن له نافذة صغيرة تطل على العالم الخارجي فحسب. والزمن يأتي كالقصة السابقة أيضاً ليؤكد ثبوت الزمن وتحجره: (تأملت بقايا التقويم المعلق في غرفتها، كل الأيام تتشابه في رتابتها...).(ص24).

تنتهي القصة ببكاء سلبي بعد ما أدركت بطلتها أنه لن يحدث في حياتها أي تغيير يذكر في زمنها، ولن تنجب أطفالاً يعيشون في المكان الذي تعيش فيه. وهذا يعيدنا إلى القصة السابقة، فالزمن لا يغير طبيعة الحياة في المكان ذاته.

(3) لا تبتعد قصة (قلب دافئ مثل قلبي) عن الدلالات الرئيسية في القصتين السابقتين، فالمكان له حضوره البارز في هذه القصة أيضاً، بل ثمة تأكيد على أهميته عبر استخدام مفردة (هنا) التي تحدد مكاناً بذاته: (أنا جالسة هنا في بيتي الصيفي وأمام حديقتي المفضلة، أنظر إلى السماء والأشجار). ص74. ولا يغيب الحضور الزمني أيضاً، فثمة علاقة جدلية تربط الزمان/ المكان بالشخصية: (كم أكره حرارة الصيف، وشمسه الحارقة، على بشرتي المسكينة، وجسدي المسكين، آه، إنه دوماً يزأر كلما حل هذا الصيف الملعون). ص74. وفصل الصيف يحفز الجسد، ويطلق المشاعر المكبوتة التي تحاول تلبية حاجاتها، ولكن هذا غير متاح، فالمرأة التي يفترض أن تعيش السعادة في المكان الذي اختارته تنتظر الموت بعد إصابتها بالمرض اللعين، لهذا بدأت علاقتها بالمكان تبهت مع مرور الزمن: (لقد أهملت هذه الحديقة في الآونة الأخيرة ولم أعد أهتم بها كعهدي السابق). ص94. مثلما أهملت بطلة القصة السابقة تنظيف المكان من حولها.

الشخصية ترتبط بالمكان بكل ما فيه، وبغض النظر عن طبيعة العلاقة مع المكان، سواء أكانت مبهجة أم كئيبة، بل هي حزينة عادة. وعندما يدنو الموت منهياً زمن الحياة تتقوض تلك العلاقة، فلا يعود للابنة الحجرية وجود، أما الزمان فيقاس بالعمر القصير للزهور الذابلة التي تدنو من الموت بدورها.

لكن المختلف أن بطلة هذه القصة في صغرها كانت تحلم أن يمر الزمن سريعاً حتى تكبر ويأخذ جسدها ملامح الأنوثة كي تعيش حالة حب، وأن يحدث كل هذا قبل بلوغها الأربعين، لأنها كانت ترجو ألا يمتد بها الزمن لما بعد سن اليأس. ولاشك أن هذا لم يكن وعي الطفلة في تلك المرحلة العمرية، بل هو إسقاط مسبق من المؤلفة التي تجعل مأساة المرأة هي لحظة عجزها عن الخصب، لهذا كانت بطلة القصة السابقة تبكي لأنه لن يتغير شيء في حياتها، أي أنها لن تنجب أطفالاً، بينما بطلة هذه القصة مات طفلها، ثم مات زوجها، وبذلك توقفت الحياة لديها في مكان بذاته.

لا تتقاسم هذه البطلة المكان مع أحد والديها، بل مع خادمة غريبة قادمة من مكان بعيد من آسيا. وهي تراقب تلك الخادمة كما تراقب الأم ابنتها في القصة السابقة، فثمة دائماً علاقة غير مريحة بين شخصيات القصص التي يجمعها مكان واحد، كالقصتين السابقتين. لهذا ليس مستغرباً أن تعاني بطلة هذه القصة المزيد من الوحدة بعد ما كف الجيران والأصدقاء عن زيارتها.

وفي انقلاب مفاجئ تتحول هذه الخادمة إلى كبش فداء، فثمة لص سطا على المنزل وقتل الخادمة وسرق مالها، بينما التي تنتظر الموت نجت بحياتها، وكأن الموت اكتفى بقطف عمر أحد سكان هذا المنزل وحسب: (عدت إلى حديقتي أتأمل النباتات الصغيرة التي بدأت في النمو) (ص16). ولكن هذا لا يعني أن النباتات الصغيرة ستعيش عمراً طويلاً، فالزمن الذي لا يتوقف عن المسير وهو يتربص بالجميع، ولديه القدرة حتى على تفتيت الأحجار الصلبة.

النماذج القصصية الثلاثة السابقة تبرز أهم الملامح والسمات والإشارات الزمنية والمكانية لدى الكاتبة (فاطمة المزروعي) التي تميزت بقصصها القصيرة المستوفية لشروطها الفنية ضمن رؤيتها الخاصة، فأسلوبها يتمايز بالتكثيف الذي لا يهمل التفاصيل الصغيرة التي تضفي على أحداث القصة حيوية سردية مشغولة بعناية، لهذا تفرد سردها بالرشاقة والسلاسة. وأكد هذا قصصها التي تميل إلى القصر. إضافة إلى طريقتها الخاصة باختيار موضوعات من البيئة الاجتماعية تناسب نهجها السردي، وهذا ما أضفى على

(قصة قصيرة)

لم يعد سراً

سحر صقران

أنا خائف نادم، أحترق ندما أكاد أعض على أناملي حتى أدميها، أحس بنار تضرم بداخلي ولفحة البرد القارسة لا أحس بها، أمشي على الشاطئ أحمل كيسا كبيراً أسود ثقيلاً ، تحاول الأمواج أن تركلني بعيدا عن الشاطئ ولكنني أصر على البقاء أنظر إلى أفق البحر الأسود من فوقه القمر بدرا في سماء خلت من بريق أو لمعان نجمة أو بياض سحب، أنظر إلى الأفق و البحر تتدافع منه الأسطر البيضاء في صحفة البحر السوداء، وضعت الكيس بجانبي واستندت إليه بكوعي ثم مر خلفي اثنان بدا أنهما عاشقان يستتران بالظلام قرب صوت البحر الذي يغني لهما عن هواهما العميق، وأخذا ينظران إلي بريبة ونبذ للعاطفة قويين بعدما رأيا الكيس الأسود وتحركا بشيء من الاستعجال ثم اختفيا في العتمة مرة أخرى، سألت نفسي لم هربا مني؟هل يعرفان ما بالكيس؟ وكيف لهما أن يعرفا وهو مغلق، ثم سحبت سيجارة من داخل المعطف الذي كان يلفني ولكني لم أجد الولاعة فتشت في جيوب معطفي الأخضر القاتم كله فلم أجدها وقد كنت في أشد الحاجة إلى سيجارة في ذلك الوقت فاتجهت إلى الرصيف خلفي ومعي الكيس الذي لا أستطيع التخلص منه لإزاحة شبحه القاتل عن ذهني. استوقفت أول مار بي طالبا منه ولاعة لأشعل السيجارة بأدب واسترحام بعد ذلك، ولكنهم كانوا يفرون مني منتفضي الأجساد عند أول نظرة إلى الكيس الذي أحمله في يدي ويكاد يخلعها عن كتفي، وعلى الرصيف المقابل كان يمشي شرطي طويل رفيع الجسم عريض العظام فأسرعت إليه راجيا منه أن يشعل لي سيجارة، فبدا للوهلة الأولى الموت يرتسم في وجهه ثم أخرج من جيبه ولاعة وتراجع خطوة إلى الخلف وذهب بعد أن أشعلت السيجارة دون أن يأخذها أو أشكره فقد بدا من تعابير وجهه ونظراته الفاحصة لي، لحركاتي لساقيّ لملابسي، أنه يمقتني إلى حد أراد فيه أن يبصق في وجهي ثم ذهب وسبق ظلاله الطويلة المتراقصة التي تمدها مصابيح الشارع طولا، فسألت نفسي مرة أخرى لم يمقتني الناس؟ هل يعرفون سري، هل يعرفون ما بداخله؟ لا يمكن، هذا مستحيل، لا يعرف ما بالكيس غيري والمركز الصحي الذي كشفه معي ثم وعدني بالسرية والمساعدة على التخلص منه والفكاك من بين يدي شبحه القاتل للتين تخنقان عنقي، والغريب أنني لم أنظر إلى هذا السواد الذي أحمله كما ينظر إليه الناس، فقط خائف ونادم أحمله حيثما ذهبت رغما عني ولا أنظر حتى إليه، حتى بعد قليل من وحدتي مع القمر الذي لم استشف في وجهه أو فعله مقتا أو جزعا- ربما لأنه بعيد عني- سمعت صوت الأقدام نفسها، بحذاء عالي الكعب، يدق على الإسفلت مثل السكين الحادة ليمزق الأحشاء رهبت الصوت في البداية ، لكنني تقدمت نحوه لأسحق المرأة التي دفنتني لأموت داخل هذا الكيس الأسود الكبير الذي ينفث بروائح الرذيلة، دخل ظلها المتقافز مساحة الضوء وظل يدخل ويهتز حتى ظهر جسم امرأة أسود من دون تفاصيل ولا ألوان، يتمايل كعود سنابل القمح في هياج الريح، ثم أخفيت الكيس خلف ظهري لأقترب منها فظهر لي حذاؤها الأحمر ذاته وعنقها العاري حتى صدرها والوشاح الأحمر الشفاف اللامع الذي يغطي ذراعيها العاريتين.

اقتربت مني أكثر حتى رأتني وهي تعض أحمر الشفاه اللامع فوق شفتيها البارزتين وما أن صرت قريبا تستطيع يداي أن تطالها حتى أحكمت على عنقها بوجه استنشق عادم إللا إنسانية واللا رحمة واللا شفقة، حتى برزت عيناها وغص صوتها الذي هرب إلى بعض الناس القريبين من هذا الشارع المشبوه النائي فتسارع الناس إلينا في استنجاد هذا الصوت النسائي الحاد وحاول الناس فكاكها من بين يدي الحديديتين، على الأقل في تلك اللحظة التي استيقظ فيها عملاق الانتقام غاضبا وأنا أقول أنت السبب أنت التي ألصقت كيس الموت هذا بي، أنت التي يجب أن تموتي،ولم ينتزعوها من يديّ إلا جثة هامدة وحاولوا أن يمسكوا بي ولكنني صرخت فيهم – ابتعدوا عني وإلا قتلتكم- فلم يأبهوا - سوف أمزق أوردتي وأبطش بها على أجسادكم، أوردتي التي تتغذى دماؤها من هذا الكيس الأسود، هل ترونه؟ هل تعرفون ما بداخله؟ وقبل أن أفصح عما بداخله فزع الناس وتراجعوا إلى الخلف يشكلون دائرة كبيرة حولي واسعة الثغرات.

درت ببصري الفاحص حول أوجههم الشاحبة فجأة، ولأول مرة رفعت يدي ونظرت إلى كتلة السواد التي في يدي منذ فترة ثم أدرتها فصفعتني حروف بيضاء واضحة كتبت عليه (سيدا) *فعرفت أنه لم يكن سرا وجثوت على ركبتي وأنا أقول – الآن عرفت السبب ولم أعد أذكر أنني رأيت أو سمعت شيئا واضحا أفهمه، هيئات مبهمة لأناس التفت حولي وأضواء تختفي بسرعة مع أصوات لا أتذكرها كانت مثل البنادق والرشاشات في الصوت والضوء الخاطف، ثم ابتعد الشارع والرصيف ومعه الناس وأنا لا أدري إلى أين تحملني العجلات التي تجعلني أهتزّ، لا أدري شيئا، فقط خائف ونادم.

ديسمبر 2003

* (سيدا): مرض نقص المناعة

همس حائر

فاطمة رشاد

أعرف أن العقلاء هم أصل المجانين وأن المجانين هم أصل العقلاء .. من منا أدرك نفسه في الجنون ؟ من منا تمنى لو أنه يصاب بالجنون لكي يقول ما يريده وأن يصل صوته إلى من تسبب في منحه قهر الحياة العقل والجنون.

أدركت فقط أن العقل الآخر هو أصدق عقل

لابد أن نطالب بأن يكون لنا جنون وعقل.